منوعات

MEDIA

أخبار

أُصيب مصور قناة تي آر تي عربي التركية، الاثنين، بجروح في قصف للاحتلال الإسرائيلي على مدينة خانيونس جنوبيّ قطاع غزة. وفي وقت سابق من الاثنين، استهدفت قوات الاحتلال الإسرائيلي سيارة أمام خيم الصحافيين قرب مستشفى ناصر بخانيونس.

اعتقلت الشرطة العسكرية المُشكلة من فصائل عدة عاملة تحت مظلة الجيش الوطني السوري المعارض والحليف لتركيا، المصور الصحافي بكر القاسم الذي يعمل لدى وكالات دولية في منطقة درع الفرات شرقي محافظة حلب، وسلّمته إلى جهاز الاستخبارات التركية.

أعلنت وكالة رويترز، أنّ الصحافي الذي يعمل لديها، ويدعى إيفان ليوبيش كيردي، يرقد في حال حرجة بعد هجوم صاروخي يوم السبت أصاب فندقاً في مدينة كراماتورسك، شرقي أوكرانيا. وكان ليوبيش كيردي جزءاً من فريق مؤلف من ستة أفراد تابعين لـ«رويترز».

أعلنت «سبايس إكس»، الاثنين، أن «تسرّباً للهيليوم» دفعها إلى تأجيل رحلة فضائية كان يُفترَض أن تنطلق الثلاثاء من فلوريدا لمدة 24 ساعة على الأقل، وهي أول رحلة من تنظيم القطاع الخاص تمكن ركابها الخروج من المركبة للتجوّل في الفضاء.

الصحافيون السودانيون ضحايا لكل أنواع الانتهاكات

أصدرت نقابة الصحافيين السودانيين تقريراً عدّدت فيه أنواع الانتهاكات التي يتعرض لها العاملون في مجال الإعلام في البلاد، وتراوح بين القتل والخطف والبلاغات الجنائية

الخرطوم ـ **عبد الحميد عوض**

قالت نقابة الصحافيين السودانيين إن أربعة صحافيين قُتلوا خلال الأشهر الأربعة الماضية من جملة 48 انتهاكاً تعرّض لها الصحافيون في الفترة ذاتها. جاء تحديث الانتهاكات الواقعة على الصحافيين السودانيين منذ حرب إبريل/نيسان 2023، خلال تقرير لنقابة الصحافيين السودانيين، غطّى الفترة من منتصف إبريل/نيسان الماضي، إلى منتصف أغسطس/آب الحالي. ويوضح التقرير الذي حصل عليه «العربي الجديد» أن عدد القتلى يضاف إلى ستة آخرين قُتلوا في الفترات الأولى من الحرب، ليكون المجموع عشرة قتلى من الصحافيين.

ورصد تقرير النقابة حالات انتهاكات أخرى وصلت إلى 48 حالة ليكون إجمالي الانتهاكات منذ اندلاع الحرب العام الماضي 438 حالة، تشمل القتل والاعتقال والتهديد وتهديد الأسر والإصابات والملاحقة القانونية وحملات التخوين.

وأشار التقرير أيضاً إلى أن صحافيين اثنين تعرّضا للاعتداء الجسدي والإصابة، و30 صحافياً تعرضت منازلهم لهجوم في أثناء المعارك وقتل أفراد من عائلاتهم.

أما حالات الاختفاء القسري والاحتجاز وسط الصحافيين، فقد بلغت حسب تقرير نقابة الصحافيين السودانيين 13 حالة، من بينهم صحافيتان، فيما وصل العدد الكلي خلال الحرب إلى 52 حالة، منها حالات لصحافيين لم يُطلَق سراحهم حتى الآن، مثل حالة مأمون حسن حامد، الصحافي المحتجز لدى قوات الدعم السريع منذ الثاني من فبراير/شباط الماضي، أو حالة الصحافي صديق دالاي، الذي اعتقلته استخبارات الفرقة الرابعة مشاة بولاية النيل الأزرق في 13 مايو/أيار الماضي على خلفية مقال تضامني مع أحد الضحايا، الذي تعرّض للتصفية في ولاية الجزيرة بواسطة الاستخبارات العسكرية، وظلّ أكثر من 60 يوماً رهن الاعتقال من دون السماح لعائلته بالتواصل معه، ثم أُطلق سراحه بالضمانة العادية، وهناك أيضاً مثال مراسل تلفزيون السودان، أحمد جمام، إذ اعتقلته القوات المشتركة بمدينة الفاشر شماليّ دارفور في الرابع من يونيو/حزيران الماضي لأكثر من أسبوعين.

وبالنسبة إلى بلاغات النشر، رصد التقرير ستة بلاغات جنائية جديدة دُوّنَت في مواجهة صحافيين، وتقول نقابة الصحافيين السودانيين إن البلاغات تُستخدم وسيلةً لترهيب الصحافيين وإسكات أصواتهم. وحذّرت النقابة من استخدام القانون مطية لإسكات الأصوات المناوئة للحرب. ومن بين البلاغات واحد موجه ضد الصحافي عماد عبد الهادي، تحت مواد جرائم ضد الدولة، وإثارة الحرب، ومعاونة العدو، وتقويض النظام الدستوري، وتصل العقوبة فيها إلى الإعدام. وعلى صعيد الانتهاكات الخاصة

> أربعة صحافيين قُتلوا بين منتصف إبريل ومنتصف أغسطس

بالتهديدات الشخصية، فقد رصد تقرير نقابة الصحافيين السودانيين 12 صحافياً تعرّضوا لتهديدات، من بينهم 8 صحافيات، وذلك خلال الأشهر الأربعة الماضية، ليصل العدد الكلي إلى 55 منذ بدء القتال، من بينها 24 حالة ضد صحافيات، خصوصاً حالة الصحافية سمر سليمان التي تلقّت رسائل نصية وصوتية تتهمها بأنها خلايا نائمة لقوات الدعم السريع في ولاية كسلا شرقيّ السودان.

يوضح تقرير النقابة أن هناك خمسة تهديدات عامة للإعلام والحريات الصحافية، منها صدور تعديلات جديدة في قانون جهاز المخابرات العامة، تعتبر ردة قانونية على الحقوق والحريات العامة، وبمثابة مسوغ قانوني لسلطات جهاز المخابرات العامة في ما يلي طلب المعلومات أو البيانات أو الوثائق أو الأشياء من أي شخص، والاطلاع عليها أو الاحتفاظ بها أو اتخاذ ما يراه ضرورياً ولازماً بشأنها، إلى جانب منح الجهاز قانونياً سلطة استدعاء الأشخاص واستجوابهم، ومنحه سلطات مطلقة في الرقابة والتحري والتفتيش، وحجز الأموال، واعتقال الأشخاص، وكل ذلك يصبّ في اتجاه المزيد من الكبت والتضييق، على الحريات العامة.

ولعل أخطر ما جاء في التعديلات، حسب التقرير، الحصانات الواسعة التي مُنحت لأعضاء جهاز المخابرات، بحيث جعلهم التعديل الجديد فوق سقف القانون العادي، إذ تمنع الحصانات الجديدة اتخاذ أية إجراءات مدنية أو جنائية ضد عضو جهاز المخابرات، إلا بموافقة مديره.

وحذّر التقرير من حملة انطلقت قبل شهرين على مواقع التواصل الاجتماعي، حرّكها أفراد، بعضهم صحافيون يُصنفونهم بانتماءاتهم الداعمة لأحد طرفي الصراع. تلك الحملة استهدفت نقابة الصحافيين السودانيين، متهمة إياها بالوقوف إلى جانب طرف من الصراع. كذلك وضعت النقابة ضمن بند التهديدات العامة إصدار قوات الدعم السريع بياناً طالبت فيه الفضائيات بلعب دور محوري في تغطية الحرب، متهمةً وسائل الإعلام المحلية بعدم المصداقية، وعَزَت ذلك إلى السياسات الأحادية وغياب الحريات، بحسب وصفها. واتهم البيان بعض القنوات باعتمادها روايات من وجهة نظر واحدة، يجري تسريبها لخدمة أجندة سياسية وعسكرية.

وأوصى تقرير النقابة ببلورة سياسة مناصرة في ضوء المعلومات الواردة في التقرير والتقارير ذات الصلة بحقوق الإنسان، لتؤسس آليات محاسبة فعّالة، لمحاسبة مرتكبي الانتهاكات وتعويض الضحايا، كذلك أوصى بضرورة وضع أُسُس لإجراءات قانونية تساعد في حماية الحقوق والحريات، وضرورة وضع إطار تشريعي وقانوني وحمائي للوفاء بالإجراءات، لتعزيز الحماية وتقليل حجم الانتهاكات التي تقع على الحريات.

من تظاهرة سابقة للصحافيين السودانيين في الخرطوم، 2014 (أشرف الشاذلي/ فرانس برس)

توقيف بافيل دوروف... تفاصيل إضافية

فيما لا يزال توقيف مؤسس تطبيق تليغرام بافيل دوروف على الأراضي الفرنسية يثير ردود فعل دولية كثيرة، كتب الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون على منصة إكس، أمس الاثنين، أنّ الخطوة «اتّخذت في إطار تحقيق قضائي جار، وليست قراراً سياسياً. الأمر متروك للقضاة». ووفق السلطات القضائية، لم يتّخذ بافيل دوروف تدابير للحدّ من إساءة استخدام مشتركين لتطبيق المراسلة، وخصوصاً عدم اعتماد آلية للحد من المحتوى المتطرف والتعاون مع المحققين. وقال مصدر مقرب من الملف إنّ توقيف بافيل دوروف تم تمديده إلى الأربعاء، ليبلغ ما مجموعه 96 ساعة، لأنّ الأفعال المشتبه بها ترقى إلى الجريمة المنظمة.

من جهته، ندّد ماكرون بـ«معلومات كاذبة» تطاول فرنسا على خلفية التوقيف، لافتاً إلى أنّ بلاده «متمسّكة إلى أقصى حد بحرية التعبير والتواصل والابتكار وروحية المؤسسة. وستبقى كذلك». وأضاف «في دولة يسود فيها القانون، على الشبكات الاجتماعية وفي الحياة الحقيقية، تمارَس الحريات في إطار يحدده القانون لحماية المواطنين واحترام حقوقهم الأساسية. إن ضمان احترام القانون متروك للقضاء المستقل». وأوقف دوروف، الذي كان يرافقه حارسه الشخصي ومساعدته ماس، السبت في مطار بورجيه (شمال باريس).

ووصل بافيل دوروف، الذي يقيم في دبي منذ سنوات، إلى باريس قادماً من العاصمة الأذربيجانية باكو وكان يعتزم تناول العشاء في العاصمة الفرنسية. أبوظبي تتابع عن كثب «قضية المواطن الإماراتي بافيل دوروف» وأصدرت وزارة الخارجية الإماراتية بياناً، مساء الاثنين، قالت فيه إنها تتابع عن كثب «قضية المواطن الإماراتي بافيل دوروف مؤسس تطبيق تليغرام، الذي ألقت السلطات الفرنسية القبض عليه للتحقيق معه في عدة اتهامات، منها الاحتيال وتهريب المخدرات والترويج للإرهاب». وأضافت أنها تقدمت بطلب للحكومة الفرنسية لتقديم كافة الخدمات القنصلية له بشكل عاجل. ويحمل دوروف (39 عاما)، الجنسيتين الفرنسية والإماراتية أيضاً، وتقدر مجلة فوربس ثروته بنحو 15,5 مليار دولار. وتشمل التهم رفض توفير المعلومات اللازمة لعمليات اعتراض المراسلات المصرح بها قانوناً، والتواطؤ

بافيل دوروف في ميونخ، 2012 (Getty)

في جرائم والجريمة المنظمة على المنصة (الاتجار بالمخدرات، والمواد الإباحية المتّصلة بالأطفال، والاحتيال وغسل الأموال في إطار مجموعة منظمة)، وتوفير خدمات التشفير التي تهدف إلى ضمان السرية من دون إعلان يضمن توافق الخدمات مع التشريعات.

(فرانس برس، العربي الجديد)

60 منظمة ضد الشراكة الأوروبية ـ الإسرائيلية

طلبت حوالى ستين منظمة دولية تدافع عن الصحافة من الاتحاد الأوروبي تعليق اتفاق الشراكة الذي وقعه مع إسرائيل، بسبب الانتهاكات لحرية الإعلام واستهداف الصحافيين بصورة «غير مسبوقة» منذ بدء الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة قبل أكثر من عشرة أشهر. ولفتت المنظمات الموقعة ولا سيما لجنة حماية الصحافيين ومراسلون بلا حدود وهيومن رايتس ووتش والاتحاد الأوروبي للصحافيين، في الرسالة التي تلقت وكالة فرانس برس نسخة عنها، إلى أن حكومة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو اتخذت منذ اندلاع الحرب في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول، سلسلة من التدابير «للحد من حرية الإعلام، أدت عمليا إلى فرض نظام رقابة».

وبحسب الرسالة، قامت إسرائيل بتقليص حرية الصحافة من خلال زيادة عدد المقالات المحظورة، وخطاب المسؤولين الحكوميين المعادي للصحافة، ومحاولات مزعومة للسيطرة على وسائل الإعلام، وغيرها من التهديدات. وفي إبريل/ نيسان 2024، أصدرت إسرائيل قانونًا يمنح الحكومة صلاحية حظر بث وسائل الإعلام الدولية مؤقتًا بحجة أنها تشكل «تهديدًا للأمن القومي»، مما أدى إلى إغلاق حظر عمل قناة الجزيرة القطرية إسرائيلياً.

وفي مايو/أيار 2024، صادرت إسرائيل مؤقتًا معدات من وكالة أسوشييتد برس بسبب توفيرها بثاً مباشراً لقناة الجزيرة. وهناك أيضًا حالات إغلاق للإنترنت تمنع وصول الأخبار والشهادات من غزة إلى العالم الخارجي، واتهامات واسعة النطاق بالمضايقة والترهيب، وتقارير تفيد بأن أكثر من 50 مكتبًا إعلاميًا تم تدميره أو تضرر في غزة. وطلبت المنظمات من وزير خارجية الاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل ومفوض التجارة فالديس دومبروفسكيس تعليق اتفاق الشراكة الذي يتناول بصورة خاصة المبادلات التجارية مع إسرائيل، وفرض «عقوبات محددة الأهداف على المسؤولين» عن انتهاكات لحقوق الإنسان. وذكرت المنظمات في الرسالة أن أكثر من مائة صحافي فلسطيني قتلوا في الحرب، إضافة إلى صحافيَين إسرائيليَين وثلاثة صحافيين لبنانيين.

(فرانس برس، العربي الجديد)

تابع المصور الفلسطيني اسامة سلوادي (رام الله، 1973) بعدسته الانتفاضة الفلسطينية الأولى والانتفاضة الفلسطينية الثانية. وتنقل بين العديد من الوكالات الصحافية المحلية والعالمية. انطلق من سلواد، القرية الريفية الوادعة، ليلتقط ويوثق الأحداث الفلسطينية المفصلية، ثم عاد إليها ليوثق الطبيعة الفلسطينية وتفاصيل الحياة اليومية. غرف بكثير من صوره التي التقطها في الانتفاضة الفلسطينية الثانية (2000 - 2005)، موثقاً مقاومة الشعب الفلسطيني لآلة الاحتلال الإسرائيلي. قبلها، وبعدها أيضاً، اهتمّ سلوادي بتوثيق مفردات الحياة اليومية الفلسطينية؛ إذ مضى في تصوير السيدات وهنّ يرتدين الثوب المطرّز الشهير، كما انشغل بالتقاط لحظات من الطبيعة في بلاده المحتلة، مثل الزهور والأشجار والطيور... كلّها كانتا حاول الاحتلال، ولا يزال، أن يسطو عليها وينسبها إلى نفسه، بهدف الاستيلاء على ذاكرة أصحاب الأرض الشرعيين، وتزويرها وانتحالها. ينشغل سلوادي، منذ عام 2006، بتعزيز مشروعه في التقاط كل هذه المفردات التي تنتمي إلى أبناء شعبه، رغم إصابته برصاصة أطلقها عليه أحد جنود جيش الاحتلال، أدّت إلى إجلاسه على كرسي متحرّك. لكنه لم يستسلم لذلك، بل ما زال مهموماً بالطبيعة الفلسطينية وجمالياتها، مُنشغلاً بتوثيقها من خلال مشاريع عدّة، على رأسها عدد من الكتب التي أصدرها وتضم توثيقاً لكل ما التقطه على مدار تجربته الطويلة. «عندما تكون مصوراً صحافياً عليك أن توازن بين المسؤولية الوطنية كونك صاحب قضية وبين المسؤولية الأخلاقية والمهنية في نقل الحدث، خاصة في ظل احتلال يلاحق الناس على الكلمة والصورة واللفتة، ثم عليك الاهتمام لاحقاً بالناحية الجمالية والتوثيقية»، يقول سلوادي في مقابلة أجرتها معه «العربي الجديد»، يتحدّث فيها عن تجربته ومشاريعه الماضية والمقبلة، وأهمية أن يكون الإنسان مصوّراً فوتوغرافياً في بلد مثل فلسطين المحتلة

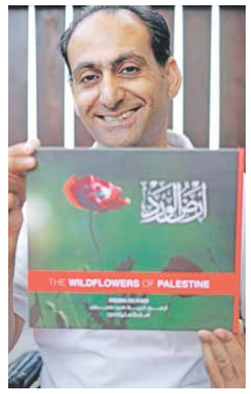

مقابلة
أجراها **بدر العقباني**

أسامة سلوادي
وزمن اللقطة الصحيح
الصورة الآن سلاح

الصورة وحدها لا تكفي لإحداث تغيير حقيقي (توماس كوكس / فرانس برس)

انبهاري بالطبيعة هو ما دفعني إلى العمل مصوّراً فوتوغرافياً

■ لنعدْ قليلاً إلى الماضي. حدثنا عن البيئة الاجتماعية والثقافية التي نشأت فيها. وكيف تُؤثر تلك البيئة اليوم على أعمالك الفنية وخياراتك الشخصية؟

نشأتُ في بيئة ريفية، لعائلة تعمل في الزراعة. كان ترتيبي بين إخوتي وأخواتي العاشر. كل العائلة تعمل في الفلاحة، كنا نفلح أرضنا طوال العام، في مواسم مختلفة؛ موسم زراعة الحبوب وموسم الخضراوات البعلية، وموسم قطاف التين، وموسم قطاف الزيتون. عشت طفولتي في قريتي سلواد التي تتوزع بيوتها على قمم تلال شرق رام الله، أعلاها قمة تل العاصور، وهو واحد من أعلى جبال فلسطين، إذ يرتفع أكثر من ألف متر فوق سطح البحر. سلواد التي نشأت فيها ذات طبيعة خلابة، تكثر فيها أشجار الزيتون والتين وأشجار اللوزيات، وتتنوّع فيها الزهور البرية.

كنت في طفولتي المبكرة مثل عصفور الدوري أو مثل غزال الجبل الفلسطيني، أقضي أغلب أوقات يومي في الجبال، أتسلق الأشجار والصخور والأعب العصافير. تعرفت على مكونات الطبيعة وأسماء الزهور البريّة، وتعرفت على تقلبات الطقس من ملمس ومذاق الرياح. أنا مثل أي طفل من أطفال الشعوب الأصلانية الذين يكتسبون معرفة فطرية من خلال ممارسات الحياة اليومية والاحتكاك بالطبيعة. هذه الطفولة الزاخرة بالجمال راكمت داخلي مخزوناً كبيراً من الجمال المتعلق بالطبيعة، دفعتني وأنا في سن المراهقة إلى البحث عن طريقة لتوثيقها بشكل ما، وقد اهتديت إلى الكاميرا باعتبارها أفضل وسيلة في ذلك الوقت لتوثيق وحفظ هذا الجمال، فالحفاظ على مظاهر جمال البلاد وتوثيقه معركة أخرى للشعب الفلسطيني، إذ يعمل المحتل بتسارع على تغيير طبيعة البلاد وهويتها من خلال تغيير الغطاء النباتي، وشكل العمارة والمشهد الذي بدأ يزدحم بالمستوطنات والأبراج العسكرية والجدران العازلة التي تحجب المشهد الطبيعي. وهي معركتي الشخصية أيضاً، حيث نحارب بشاعة الاحتلال من خلال توثيق مظاهر الجمال والطبيعة والحياة الأصلانية لشعب أصيل.

■ كيف ومتى حدث لقائك الأول مع الصورة الفوتوغرافية؟ ولماذا قررت أن تصبح مصوراً فوتوغرافياً؟ وماذا يعني أن تكون مصوراً في عصرنا هذا؟

ربما كان لقائي الأول مع الصورة عندما كنت العاشرة من عمري. التقطت لي صورة في زيارة لبيت أختي المتزوجة حديثاً، كما ذكرتُ سابقاً، انبهاري بالطبيعة وشغفي في توثيقها هو ما دفعني إلى العمل مصوراً فوتوغرافياً، لكن اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى (1987 - 1995) أخذني من عالم الطبيعة والجمال إلى العمل في التصوير الإخباري. كان الانتقال من الطبيعة إلى السياسة شبه إجباري في ظل قلة المصورين المحليين، وحاجة الصحافة العالمية إلى مصورين من أبناء البلد لتغطية الأحداث، فبدأت العمل مصوراً صحافياً في بداية التسعينيات وكنت وقتها لم أبلغ العشرين من عمري. والآن، حيث الصورة هي لغة العصر وأهم أدوات الإعلام الحديث، فقد أصبح العمل في التصوير تحدياً كبيراً، خاصة مع هذا السيل الجارف من الصور الذي يجتاح العالم، ولم تعد الناس تفرق الغث من السمين، لكن لا يبقى في الوادي إلا حجارته، سينتصر الجمال على القبح، وعلى التزوير.

■ هل ثمة صورة شعرتَ بأن الرعبَ فيها لا تُمتناه ولا يحتمل، وأن حياتك قبلها ليست كحياتك بعدها؟

كثيرةٌ هي الصور التي تركت أثراً عميقاً في نفسي ولم تغادرني حتى الآن، خاصةً تلك الصور التي التقطها خلال انتفاضة الأقصى (2000 - 2005) التي كانت حرباً شنها الاحتلال واستخدم فيها الطيران والدبابات لمواجهة شعب أعزل. بقيت مشاهد أشلاء الأطفال الذين قتلوا في قصف البيوت أو السيارات أو خلال المواجهات بالحجارة لا تغادر مخيلتي.

■ عملت مصوراً حربياً في عدة وكالات، وكُنتَ قد وثّقتَ الانتفاضة الأولى وإنشاء السلطة الفلسطينية والانتفاضة الثانية والعديد من الأحداث السياسية المهمة في فلسطين. حدثنا أكثر عن أهم هذه التجارب وكيف تنظر إليها اليوم؟

دفعتني أحداث الانتفاضة الفلسطينية الأولى إلى التحول من ملاحقة الفراشات والطيور ومظاهر الجمال في الطبيعة لتصويرها، إلى الركض وراء الأخبار وجنود الاحتلال لتصوير أحداث الانتفاضة. انتقلت من البحث عن صور جميلة في أجواء هادئة، إلى الصخب والخوف والبحث عن المتاعب واستنشاق الغاز المسيل للدموع ومواجهة الموت في كل مهمة عمل في الميدان، ثم جاءت اتفاقية أوسلو ومشروع السلام الذي بث بعض الأمل في بدايته، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الأمل وظهرت الحقيقة. كانت خدعة عمد إليها الاحتلال، وما هي إلا سنوات قليلة، حتى اندلعت انتفاضة الأقصى، وتحولت بسرعة كبيرة إلى اشتباك حربي استعمل فيه الاحتلال كل المعدات لمواجهة تظاهرات داخل المدن، أو لمواجهة بعض الشبان المسلحين بالبنادق. طائرات حربية ودبابات وقصف بالمدفعية داخل المدن. كانت أياماً صعبة، حسبناها أصعب ما يحدث، حتى رأينا ما يحدث في غزة اليوم من دمارٍ وقتلٍ وتشريد وتطهيرٍ عرقيّ.

■ حسب سوزان سونتاغ: من دون السياسة من المحتمل أن تكون صور المذابح في التاريخ، ببساطة، غير واقعية أو ضربة عاطفية مثبطة. وهي تربط التأثير المعنوي للصورة بمستوى الوعي السياسي للإنسان. كيف يمكن أن نترجم هذه الفكرة في السياق الفلسطيني اليوم؟

فكرة سونتاغ حول العلاقة بين الصورة والسياسة تحمل دلالات بالغة الأهمية خاصة في السياق الفلسطيني، ويمكن تلخيصها بأن الصورة وحدها لا تكفي لإحداث تغيير حقيقي، بل يجب أن تكون مصحوبة بفهم ووعي وعمل سياسي حقيقي لشرح القضية وأبعادها التاريخية والسياسية، إذ لا شك أن صور المذابح تثير مشاعر عميقة من الحزن والغضب والتعاطف في قلوب كثيرين حول العالم، ولكن هذا التأثير العاطفي سرعان ما يتلاشى مع تزاحم الأحداث والأخبار والصور، والتأثير العاطفي وحده ليس كافياً لتحريك الرأي العام العالمي والشعوب لدفع حكوماتها نحو اتخاذ إجراءات ملموسة لإنهاء المعاناة الفلسطينية.

ولكي تكون الصور مؤثرة حقاً، يجب أن تكون مصحوبة بشرح وتوضيح لسياقها التاريخي، والعمل السياسي يترجم إلى فعل يقود إلى التغيير، كما يمكن أن يساهم تحليل الصور نقدياً، وتفكيك الدلالات التي تحملها، والكشف عن الأبعاد السياسية والاجتماعية والثقافية التي تكمن وراءها في خلق فهم عالمي حول ما يحدث في فلسطين وأهمية إنهاء الاحتلال. فالصورة الآن سلاح، وسلاح مهم جداً يمكن توظيفه عالمياً لتغيير الصورة النمطية حول تبرير الاحتلال وتقديم سرديتنا الخاصة في مواجهة سردية الاستعمار التي برّر من خلالها استعمار فلسطين وغيرها من دول العالم.

■ منذ سنوات وأنت تعمل على توثيق الحياة اليومية الفلسطينية، مثل الملابس والطعام والنباتات، ولك ما يزيد عن 11 كتاباً عن هذه المواضيع. كيف حدث هذا الانقلاب في موضوع التصوير؟

* في الواقع، لم أتخلَ يوماً عن الاهتمام بتوثيق الحياة اليومية، وخاصة مظاهر الحياة الأصلانية للشعب الفلسطيني، التي توارثناها عن الآباء والأجداد جيلاً بعد جيل. صحيح أن عالم التغطية الإخبارية أخذني لبعض الوقت عن طريقي الذي بدأت فيه العمل في التصوير، لكن في عام 2006، جاءت إصابتي بالرصاصة التي غيرت حياتي، وكدت أن تنهيها، إذ أصبت برصاصة أدخلتني في غيبوبة وكنت أقرب إلى الموت، ولكن عدت مجدداً بروح جديدة وجسد جديد. من على كرسي متحرك، عدت إلى البدايات، من نقطة الانطلاق في المضمار، عدت إلى توثيق الطبيعة والزهور والزي التقليدي والطيور. ربما جاءت هذه الإصابة في الوقت الحرج الذي كثف فيه الاحتلال من هجمته على الثقافة الفلسطينية، إذ لم يكتف بمحاربة هذه الثقافة من خلال المحو، بل أيضاً من خلال اقتلاع أشجار الزيتون والعبث بالغطاء النباتي، فقد بدأ خلال العقود الثلاثة الأخيرة بانتحال مكونات الثقافة الفلسطينية، وأخذ ينتحل المطبخ الفلسطيني والشامي والزي ويغير أسماء الزهور والطيور والحيوانات البرية ليضفي عليها طابعاً توراتياً وطابعاً احتلالياً، مثل ما فعل بالأرض. ولقد كرست حياتي المهنية بعد الإصابة لمشروع كبير هو «مشروع التوثيق البصري للتراث الفلسطيني».

■ عندما تبدأ بالتخطيط لمشروع فوتوغرافي، كيف تفكر في اللقطة من ناحية الضوء والتركيب والهندسة والألوان؟ هل تعتقد بوجود معايير يجب أن تطبق على جميع الصور الفوتوغرافية؟

عندما تخطر لي فكرة أي مشروع فوتوغرافي، التقط فوراً بعض الصور للمشروع، ثم يدور نقاش حول المحتوى الذي صوّرته، ثم نقاش مع بعض الأصدقاء، ثم أطرح بعض الصور على مواقع التواصل الاجتماعي من دون إعلان عن المشروع لأقيس ردود الفعل حولها، ثم أقدم شرحاً بسيطاً حول الفكرة، حتى أرى ردود الأفعال وآخذ ببعض الملاحظات، ثم يبدأ العمل الفعلي. مع الوقت، يتبلور المشروع، قد يأخذ سنوات من التجريب ودراسة الضوء والكادر واللون.

المعيار الأول لكل فكرة ومشروع فوتوغرافي هو المسؤولية الأخلاقية والوطنية التي تدفعني إلى العمل على هذا المشروع، ثم معيار الجمال والإتقان الفني، عليك أن تتقن اللقطة من ناحية فنية وتقنية، وعندما تعرف كيف توظف القوانين الفنية يمكنك لاحقاً خرقها والتعديل عليها للحصول على نتيجة أفضل.

■ كيف توازن بين الحالة التوثيقية والحالة الجمالية؟ وفي سياق آخر، خلال المعركة أو تحت القصف، كيف يمكن للمصوّر أن يحافظ على هذا التوازن أو يفكر فيه؟

في الواقع، عندما تكون مصوراً صحافياً عليك أن توازن بين المسؤولية الوطنية كونك صاحب قضية وبين المسؤولية الأخلاقية والمهنية في نقل الحدث، خاصة في ظل احتلال يلاحق الناس على الكلمة والصورة واللفتة، ثم عليك الاهتمام لاحقاً بالناحية الجمالية والتوثيقية. لكن في العمل التوثيقي والمشاريع الفوتوغرافية الكبرى التي تحتاج إلى تخطيط للصورة، لا يمكن فيها التنازل عن الناحية الجمالية، وهي في كل الأحوال تخدم المهنية والوطنية.

■ هل الصورة الفوتوغرافية أداة للذاكرة أو اختراع لها أو استبدال؟ ما تعريفك لها؟

هذا سؤال كبير وملتبس بعض الشيء وله أبعاد متعددة، فالصورة من خلال تسجيل وتوثيق الأحداث وقدرتها على بناء السرديات هي أداة لحفظ الذاكرة، وهي أيضاً تخترع الذاكرة أو توسعها عندما تخلق ذكريات جديدة، ولكن في عصر سهولة التزوير على الصور قد تكون أداة لاستبدال الذاكرة. وفي كل الأحوال، الصورة الفوتوغرافية هي أهم وعاء لحفظ الذاكرة.

■ في سياق حرب الإبادة اليوم على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، ماذا يعني أن توجد في المكان المناسب وفي الوقت المناسب لالتقاط صورة؟ ومتى لا تؤدي الصور إلى تحريك الضمير والتحريض على التعاطف بل إلى إفسادهما؟

في حرب الإبادة التي تقع الآن على شعبنا في قطاع غزة، كل مواطن بطل وضحية، وكل مصور بطل وضحية في نفس الوقت. لا يختار الإنسان موقعه في هذه الحرب، بل الظروف والأحداث هي التي فرضته. على المصور أن يكون على قدر من المسؤولية، أن يكون إلى جانب الإنسانية، كل صورة وثيقة وكل صورة قد تصبح دليلاً للمحاسبة مستقبلاً.

من هنا، تنبع أهمية وجود كل مصور في هذه الحرب، ولهذا يقتل الاحتلال الصحافيين عمداً حتى يحارب هذه العيون التي تشهد على الأحداث وتوثقها وتسجل التاريخ. هذه الصورة ستصبح يوماً ما أداة لإنهاء الاستعمار وعدم إفلات الجناة من المحاسبة على الجرائم التي ارتكبوها. قد تكون الرأسمالية حولت المواطن في كل مكان إلى مستهلك في عالم الصورة، وحولت الضحية إلى سلعة تتناقلها الفضائيات ووسائل الإعلام لتعبئة ساعات البث الطويلة، وهذا يحولها إلى شيء اعتيادي لا يحزك الضمير، لكن تبقى الصور سجلات تاريخية للزمن وللمحاسبة.

■ ما الفرق بين المصوّر الهاوي والمصوّر المُحترف؟

قد تستغرب قولي إن المصورين الهواة أهم بكثير من المحترفين إذا حضروا في زمن اللقطة الصحيح. وإذا كان لديهم الوعي والمعرفة بأهمية الصورة والحدث، أما المحترف، إذا لم يكن يملك القدرة على التجدد والانبعاث من جديد، فستصبح صوره منمطة وخالية من الروح، وتصبح مجرد عمل تقني من أجل المعيش، وهذا ما يقتل كل حرفة. عليك أن تكون محترفاً بروح الهواة حتى تتجدد وتنبعث من رماد المهنة البارد.

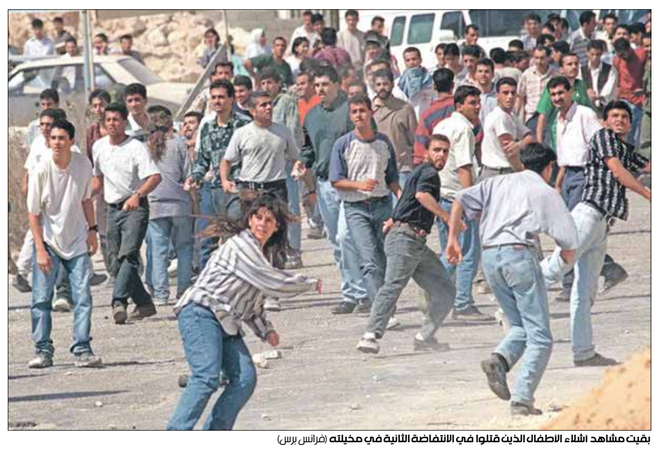
بقيت مشاهد أشلاء الأطفال الذين قتلوا في الانتفاضة الثانية في مخيلته (فرانس برس)

التقط من البحث عن صور الطبيعة إلى الصخب والخوف بسبب الاحتلال (فرانس برس)

الصورة تخترع الذاكرة وتوسعها (فرانس برس)